-د: محمد بن قيدة.

- الرتبة: أستاذ محاضر "ب"

- قسم الكتاب والسنة

- البريد الإلكتروني: bekaidamohamed@gmail.com

كلية أصول الدين، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة.

الهاتف: 0698365923

الملتقى الوطني:

الدرس التفسيري والحديثي عند علماء جمعية العلماء المسلمين -الجهود والمناهج والاتجاهات-

يومي الثلاثاء والأربعاء25-26 رجب 1445 هـ الموافق لـ : 6-7 فيفري 2024 م

عنوان المداخلة:

مقومات النهضة وشواهدها من الأحاديث النبوية عند الشيخ العربي التبسي - من خلال مقالاته -

قسم الكتاب والسنة

كلية أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين:

- **ملخص البحث بالعربية**:

- يعرض هذا الموضوع معالم مشروع النهضة الجزائرية الحديثة إبّان الاستعمار الفرنسي؛ وفق نظرة الشيخ العربي التبسي، الذي طرحه في كثير من مقالاته وخطاباته المنشورة في مجلتي "الشهاب" و"البصائر"؛ وهو مشروع انبثق من خلفية الشيخ العلمية الثريّة وتجاربه الحياتية الواسعة، ونظرته الاستشرافية المتبصّرة.

وقد اعتبر الشيخ العربي التبسي التعليم الأساس الأول لقيام النهضة، إضافة إلى المحافظة على وحدة الأمّة وتماسكها، والعمل الجماعي المنظم بإخلاص من قبل كافة أفراد المجتمع لخدمة الدين والوطن.

والملاحظ أنّ الشيخ التبسي استقى تلك المعالم النهضوية من المعاني القرآنية والحديثة؛ فكان كثيرا ما يستشهد عليها بما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة، باستدلال الصريح أحيانا وبالتضمين المعنوي أحيانا أخرى.

- **ملخص البحث بالإنجليزية**:

- This research presents the features of the modern Algerian renaissance according to Sheikh Al-Arabi Al-Tebsi; He also saw it in his articles and speeches that appeared in Al-Shihab magazine, Al-Basair newspaper, and others, which were derived from his profound scientific outlook, his extensive life experiences, and his conscious forward-looking outlook.

Sheikh Al-Arabi Al-Tabsi considered education the first basis for the establishment of the Renaissance, in addition to preserving the nation’s unity and cohesion, and sincerely organized collective work by all members of society to serve the religion and the nation.

It is noticeable that Sheikh Al-Tabsi derived the elements of this renaissance from the meanings of the Qur’an and the hadiths, and he often cited what was mentioned in the noble prophetic hadiths; Sometimes by explicit inference and other times by inference by meanings.

▪ مقدمة :

قدّم الشيخ العربي التبسي جملة من المقالات الإصلاحية، التي اتسمت بالتركيز على بيان المشروع النهضوي الذي كان يراه الشيخ، ويسعى إلى تحقيقه في الواقع من خلال نشاطه الدؤوب ضمن "جمعية العلماء المسلمين" وغيرها.

سجّل الشيخ التبسي نظرته للواقع الإصلاحي إبان الاستعمار في تلك المقالات المبثوثة في المجلات والجرائد التي كانت تصدر للجمعية آنذاك "كالنجاح" و"الشهاب" و"البصائر" وغيرها.

وقد قام الأستاذ "شرفي الرفاعي" بجمع جملة من تلك المقالات في كتاب مستقل وسمه بـ"مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر"، ولما وقفت على هذه المقالات: وجدت الشيخ العربي التبسي كثيرا ما يستند إلى المعاني القرآنية والحديثية في طرح نظرته الاستشرافية للنهضة الجزائرية المنشودة، التي تجعل للجزائر كيانا مستقلا، ودولة حرة ترعى مقوماتها الأساسية من الدين واللغة والوطن.

– **يهدف** هذا **الموضوع**: إلى جمع شتات ما تفرق في مقالات الشيخ التبسي من المعاني النهضوية التي استند فيها إلى الأحاديث النبوية تصريحا أو تضمينا، وتوضيحها بصورة تجلي أسس النهضة الجزائرية المنشودة وفق طرح واحد من كبار علماء "الجمعية" ومنظريها.

– فما هي مقومات نهضة الأمة الجزائرية إبان الاستعمار عند الشيخ العربي التبسي؟

– وكيف وظّف الشيخ العربي التبسي الأحاديث النبوية في استجلاء المعاني الإصلاحية التي تخدم القضية الإصلاحية في الجزائر؟

– وما منهجه في نقل الأحاديث النبوية وعرضها؟ واستثمار مقاصدها ومعانيها الهدائية؟

حاولت معالجة حيثيات هذا الموضوع من خلال ثلاثة مطالب أساسية هي كالآتي:

– **المطلب الأول**: في **التعريف بالشيخ العربي التبسي وخصائص مشروعه النهضوي**.

– أما **المطلب الثاني**: ففي **أسس النهضة عند الشيخ التبسي وشواهدها الحديثية**.

– و**المطلب الثالث**: حول **منهجه في إيراد الأحاديث وتفسيرها**.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ العربي التبسي وخصائص مشروعه النهضوي:

أولا– التعريف بالشيخ العربي التبسي[1]:

هو الشيخ المجاهد الفقيه العلامة المربّي: **العربي بن بلقاسم** بن مبارك بن فرحات التبسي، أبو القاسم: أحد رجال الفكر الإصلاحي في الجزائر، وهو من أبرز علماء "جمعية العلماء المسلمين".

1- **مولده وتعلّمه:** ولد الشيخ التبسي في بلدة "ايسطح" قرب تبسة سنة (1895م).

بدأ حفظ القرآن الكريم على والده في بلدته إلى أن توفي، فانتقل إلى زاوية ناجي الرحمانية بخنشلة حيث أتم حفظ القرآن، ثم درس التجويد والرسم القرآني بزاوية نفطة بتونس، إلى أن التحق جامع الزيتونة بتونس العاصمة التي نال بها شهادة الأهلية، ثم رحل إلى جامع الأزهر بمصر، ومكث هناك سنوات يطلب العلم، وبعد ذلك رجع إلى تونس، وتحصّل على شهادة العالمية.

2- **نشاطه العلمي والإصلاحي:**

عاد الشيخ التبسي إلى الجزائر سنة (1927م): فاشتغل بالتعليم والإرشاد الديني في مساجد مدينته تبسة وغيرها، وشارك في الدعوة والإصلاح الديني إلى أن انتقل إلى قسنطينة.

– فلما تأسّست "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" كان الأمين العام للجمعية، ومن أبرز علمائها ورجالاتها، وكان رئيس لجنة الفتوى فيها.

– ثم انتُخب الشيخ التبسي نائبا لرئيس الجمعية الجديد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بعد وفاة ابن باديس.

–وبعد افتتاح معهد عبد الحميد بن باديس عام (1947م) عُيّن مديرا له؛ فانتقل إلى قسنطينة وظل على إدارته إلى أن أُغلق سنة (1956م)، و بعد ذلك انتقل إلى العاصمة لإدارة شؤون الجمعية فيها وما بقي من مدارسها ومساجدها، إلى أن اختطف رحمه الله.

3– وفاته:

في سنة (1957م) اقتحم جنود الاستعمار مقرّ سكنه في العاصمة، وتَم اختطافه ثم اغتياله من طرف جنود المستعمر الفرنسي في ظروف غامضة، فرحمة الله عليه عاش ثائرا على فرنسا ومات على ذلك.

ثانيا– خصائص الفكر النهضوي عند التبسي من خلال مقالاته:

الشيخ "العربي التبسي" علَم من أعلام النهضة الإسلامية والوطنية الجزائرية في العصر الحديث؛ ولا أدلّ على ذلك من المقالات والخطابات التي قدّمها الشيخ في "النجاح" و"الشهاب" و"البصائر"؛ والتي تنمّ عن نظرة فاحصة استشرافية للشيخ في شؤون "النهضة الجزائرية الحديثة"، تجلّت فيما قدّمه من آراء سديدة

[1]– مصادر ترجمته: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، 61. مقالات في الدعوة إلى النهضة، شرفي الرفاعي، 11. حياة الشيخ العربي التبسي وأصول دعوته الإصلاحية، محمد حاج عيسى، مقال الكتروني بموقع "ملتقى أهل الحديث".

وتوجيهات رشيدة؛ استقاها من تجربته الحياتية والنضالية، والمواقف التي عايشها من أحداث عصره[1]، أضاف إليها معارفه العلمية الشرعية؛ كلّ تلك الخلفيات أهّلته لصياغة: مشروع نهضوي حضاريّ عمليّ متكامل.

ويمكن توصيف خصائص المشروع النهضوي لدى الشيخ العربي "التبسي" من خلال النقاط الآتية:

- **الشمولية** و**الواقعية**: فكانت نظرته –رحمه الله– لواقع الإصلاح في الجزائر المستعمرة نظرة **تشخيصية**؛ يبين فيها الأسباب، والواقع الموجود، والحلول المتاحة، بل ويحاول أن يتفحص النتائج المحقّقة أحيانا، ولم يكن مشروعه النهضوي مجرد رأي أو تصور نظري؛ بل كان نظرة عميقة واقعيّة وشاملة لنواحي القضية؛ تقوم على العمل المباشر[2]؛ من خلال: العمل الإصلاحي: تخطيطا وتنظيرا وتوجيها.

فعلى سبيل **المثال**: نظريته النهضوية قامت على: دعم التعليم وإشاعته وتطويره، وفي الواقع: أشرف على افتتاح وإدارة كثير من المعاهد والمدارس الجزائرية في توجّهها وهويّتها، وهكذا نقول في بقية عناصر النهضة عنده من: العمل الجماعي، وريادة العلماء والمثقفين للنهضة، وإبراز شخصية الأمة المتميّزة وما إلى ذلك.

- دأَب في جلّ مقالاته على استنهاض الهمم، وإذكاء روح التحرّر والوطنية في المخاطَبين من الشعب الجزائري، الذي كان يصفه دائما بالأمة.
- تستمدّ مبادئ النهضة عند الشيخ "العربي التبسّي" مرجعيّتها من القرآن والسنة، ومن التاريخ وتجارب الشعوب[3]، كما تدعو إلى الاستفادة من العلوم العصرية الحديثة لمواكبة التطورات الحاصلة.
- تزخر مقالات الشيخ "العربي التبسي" رحمه الله **بالمصطلحات النهضوية؛ مثل**: قوله "النهضة الجزائرية"[4]، "النهوض بالناشئة"[5]، "عمران هذا العالم الأرضي"[6]، "الرقي"، "التطور"، "التدهور"[7]، "الركود" وغيرها كثير...
- **مقاومة الاستعمار**: دون تردّد: عامل أساسي لنهضة الشعب الجزائري عند "الشيخ العربي التبسي"؛ فقد كان يعتبر المستعمر: سبب الركود العلمي والثقافي للجزائريين[8]؛ ويربط بين الاستعمار والتخلّف، ودعا إلى مواجهة "الاحتلال" و"الاستعمار" (يسميه بهما)، وكشف حقيقة الظلم والقهر الذي يفرضه على الشعب

---

[1]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 17.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، 24.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، 24.

[4]– ينظر: مجلة "الشهاب": تخ: 12-3-1933/ مج: 9/ ص: 195.

[5]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 117.

[6]– ينظر: مجلة "الشهاب"، تخ: 1932/ مج: 8/ ص: 462.

[7]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 218.

[8]– ينظر: المصدر نفسه، 151 و182.

الجزائري[1]، ويصفه بـ: "العدوان الفرنسي"، ويقول: بأنّ "فرنسا وحش"[2]؛ لأنّها تقف أمام كل من أراد الحياة، فكان يحفّز الروح النضالية لدى الشعب إنْ هو أراد الحياة بأسبابها، والحاصل: أنّه كان يتكلّم بلهجة الثائر ضد الظلم والاستبداد الاستعماري بكلام حادّ وقويّ[3].

- **العالمية:** قال رحمه الله: يجب أنّ يسعى القطر الجزائري إلى تحقيق ما حققته البلدان الرائدة من: حرية، وعلم وثقافة، ودين، وعلو"[4]؛ لتكون نهضته "نهضة ثابتة متينة الأركان"[5].

- **الإيجابية والتفاؤل:** رغم وعيه -رحمه الله- بكلّ الصعوبات والعقبات: تكلّم الشيخ "التبسي" بتفاؤل كبير عن المستقبل الواعد للأجيال القادمة، وكان يقول بأنّ "المستقبل يبتسم" للنشأ الصاعد المتعلم[6]، وأنّ التعليم فتح المستقبل فتحا مبينا[7]، فهو وإن تحدّث عن السلبيات والمعوقات الكثيرة والإمكانيات المحدودة؛ فإنّه فإنّه لا يُغفل أن يغلّب عليها دائما جانب الإيجابية والتفاؤل بالمستقبل[8].

- الأفكار النهضوية للشيخ "العربي التبسي" تعكس تصوّرا واضحا للعلماء المصلحين الجزائريين لأسس النهضة[9] وتحدّياتها، بل ويعطيها طابعا خاصا من خلال: ربطها بنصوص القرآن والسنة.

والأثر الكبير والدور الريادي "لجمعية العلماء" في النهضة الجزائرية الحديثة أمر ثابت شهِد به المؤرخون الجزائريون وحتى المؤرخون الأوربيون[10].

- مقالات الشيخ بما تضمنته من أفكار نهضوية ثورية تعتبر من "المنطلقات الفكرية: للحركة الإصلاحية وكذا الوطنية في الجزائر"[11].

---

[1]- ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 158.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، 210 و214 و227.

[3]- ينظر: جريدة "البصائر": ع: 197/ تخ: 1952/ مج: 5/ ص: 138. مقالات في الدعوة إلى النهضة، 151-152 و194.

[4]- ينظر: جريدة "البصائر": ع: 204/ تخ: 20-10-1952/ مج: 5/ ص: 189. ومقالات في الدعوة إلى النهضة، 205.

[5]- ينظر: جريدة "البصائر": ع: 204/ تخ: 20-10-1952/ مج: 5/ ص: 189.

[6]- ينظر: المصدر نفسه، ع: 245/ تخ: 30-10-/ 1953/ مج: 6/ ص: 157. ومقالات في الدعوة إلى النهضة، 223 و234.

[7]- ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 206.

[8]- ينظر: المصدر نفسه، 18. (مقدمة الرفاعي)

[9]- ينظر: المصدر نفسه، 18.

[10]- ينظر: المصدر نفسه، 27.

[11]- ينظر: المصدر نفسه، 17-18.

المطلب الثاني: أسس النهضة عند الشيخ التبسي ومشاهدها الحديثة:

من خلال القراءة الفاحصة لمقالات وكتابات الشيخ التبسي –رحمه الله– التي طرح فيها سبل تحقيق نهضة إسلامية جزائرية وطنية إبّان الاستعمار؛ سنجد جملة من المبادئ والمقومات التي ركّز عليها في كثير من كتاباته، استقاها من القرآن والسنة، ووظف الأحاديث النبوية في الاستدلال لها.

هذه المقومات والأسس كان يؤكد عليها الشيخ كثيرا في غير ما مناسبة من خطاباته، وفي مواضع متفرقة من مقالاته، استخرجتُها ولخّصتُها في النقاط الآتية:

أولا- ضرورة الاتحاد والعمل الجماعي:

أكّد الشيخ العربي التبسي رحمه الله في كثير من مقالاته على أنّ العمل الجماعي في هذا العصر صار أمراً حتمياً في تحقيق النهضة الاجتماعية والدينية والثقافية، كما لم يُغفل في توجيهاته المتكرّرة حول هذا الجانب أهمّية التعاون في الجانب الاقتصادية والصناعي؛ لِما لهما من أثر بالغ في مواكبة التطورات الحاصلة في العالم.

اعتمد الشيخ "العربي" على مجموعة من الأحاديث في تقرير هذا المبدأ الهام عنده في نهضة الأمّة الجزائرية المسلمة في عصره، ومن تلك الأحاديث:

1– حديث النعمان بن بشير τ: أنّ النبي ρ قال: ((**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ: مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**))[1]؛ ذكر الشيخ التبسي هذا الحديث بمعنًى مقارب للفظه، واستشهد به على: أنّ الإسلام أوصى كلّ فرد من المسلمين أن: يكون **حارسا على وحدة** الأمّة، وأن يسعى جهده لتحقيق هذه الوحدة والدفاع عنها[2].

فالحديث وإن كان يدعو إلى التعاون والتكافل بين المسلمين، فهو أيضا يرشد إلى حراسة ذلك التعاون والاتّحاد؛ حيث شُبّهت الوحدة بالجسد الواحد، وشبّه الأفراد المجتمعين بأعضاء الجسد، والعلاقة بينهم هنا هي التعاون والمواساة وكذا الحراسة المشتركة بين الأفراد لتلك الوحدة المتكاملة.

فنلاحظ أنّ الشيخ التبسي –رحمه الله– ركّز على مقاصد الحديث ومعانيه الهدائية والتربوية؛ التي تَحثّ على: **حفظ وحدة** الأمّة وحراستها، من خلال جمع الكلمة وتوحيد الجهود.

2– ذكر **حديث** النبي ρ: ((**يَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ**))[3]؛ مستشهدا بهداياته في: جمع الكلمة والتضامن؛ من أجل خير الأمة وصلاحها، مبيّنا أنّ في الاجتماع قوّة والفردية ضعف[1] وعجز.

---

[1]– أخرجه: **البخاري**، الصحيح (مع الفتح)، كتاب الأدب، 538/10 ق: 6011. و**مسلم**، الصحيح (مع النووي)، كتاب البر والصلة والآداب، 356/16 ق: 2585.

[2]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 41. نقلا عن: النجاح: ع: 238/ تخ: 13-10-1925.

[3]– أخرجه: **النسائي**، السنن، كتاب تحريم الدم، 92/7 ق: 4020. و**ابن حبان**، في صحيحه، كتاب السير، 438/10 ق:4577. من حديث عرفجة الأشجعي τ، وصحّحه ابن حبان والأرنؤوط في تحقيقه على ابن حبان.

▪ **أسس الوحدة**: من خلال الحديثين: دعا إلى: أن تَحرص كل نفس على: الوحدة الإسلامية للأمة في كل شؤونها الدينية والدنيوية؛ وأن تجتمع كلمتها على تعاليم **القرآن** الكريم، و**السنة** النبوية التي جاءت بالبيان الوافي للقرآن، وهما السبيل الذي يجب الالتفاف حوله؛ لكي تكون الوحدة: الحصن الذي يقي الأمة من المدلهمات، والملجأ الذي تأوي إليه في الشداد[2].

والأسس التي يجب أن تتوحّد كلمة الجزائريين عليها –حسب الشيخ العربي– هي:

– **الدين**: بتعاليمه السمحاء، و**اللغة العربية**: لكونها الأداة التي نفقه بها ديننا وكتاب ربنا[3]، و**التاريخ**: المشترك للوطن، وكذا: **القومية** الجزائرية بمختلف أعراقها[4].

▪ **أهمية الوحدة**: أكّد الشيخ "العربي التبسي" رحمه الله على أنّ: الشعب الذي لا يتحّد على المبادئ ومقوماته الأساسية التي هي خصائصه ومميزاته؛ سيكون مآله الانهيار والفشل والاضمحلال[5].

ودعا الشيخ –رحمه الله– الشعب الجزائري إلى أن يكون يدا واحدة ضدّ المستعمر: الذي حارب: الدين، واللغة والمدارس التعليمية الجزائرية؛ للتحرّر من عبودية هذا المستعمر واستبداده.

كما أنّ الاجتماع والتعاون –عنده– سبب لتبادل الأفكار والآراء المثمرة، ونشر المعارف والعلوم؛ ففي عصرنا الحديث صارت الأعمال الفردية لا تقدّم شيئا ولا تؤخر، إلاّ إذا كانت مندرجة ضمن مؤسسات أو هيئات؛ فهو العصر عصر التكتلات والعمل الجماعي والنظام المؤسسي الذي تسمو به الأوطان ويرتفع شأنها[6].

3– أما **الحديث الثالث**: الذي استشهد به فهو قوله ρ: ((**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**))[7]؛ فمن خلال هذا الحديث: اعتبر الوطن مثل "المنزل الواحد" الفسيح الأركان الذي يجب: تنظيفه وتنظيمه، ويرعاه وينميه سكانه، من خلال الجهود المتكاملة والموحدة في هذا السبيل؛ كلّ حسب طاقته وجهده وتخصصه[8].

---

[1]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 46. نقلا عن: النجاح، ع: 240/ تخ: 20–10–1925.

[2]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 41. نقلا عن: النجاح، ع: 238/ تخ: 13–10–1925.

[3]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 44. نقلا عن: النجاح، ع: 240/ تخ: 20–10–1925.

[4]– ينظر: مجلة "الشهاب"، تخ: 1932/ مج: 8/ ص: 468. ومقالات في الدعوة إلى النهضة، 69 و124.

[5]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 43. نقلا عن: النجاح، ع: 238/ تخ: 13–10–1925.

[6]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 52. ومجلة "الشهاب"، تخ: 1932/ مج: 8/ ص: 464.

[7]– أخرجه: **البخاري**، الصحيح (مع الفتح)، كتاب الجمعة، 650/10 ق: 893. و**مسلم**، الصحيح (مع النووي)، كتاب الإمارة، 488/2 ق: 1829. من حديث ابن عمر τ.

[8]– ينظر: مجلة "الشهاب"، ع: 34/ تخ: 1926/ مج: 2/ ص: 31.

وبالتالي: لم يجعل معنى هذا الحديث قاصرا على المسؤولين وأصحاب المراكز السيادية، بل جعله في الجهد الذي يبذله كلّ فرد؛ حين يؤدي واجبه المنوط به: الفلاح والراعي والحرفي والمعلم وغيرهم: كلّ في مكانه وفي تخصّصه، ما دامت جهودهم في سبيل خدمة الصالح العام والأمة والوطن.

ثانيا- الإخلاص والنية الصادقة:

تكلم الشيخ العربي التبسّي مطولا عن الإخلاص في عدّة مقالات، ولأهميّة هذا الموضوع عنده في نهضة الأمّة وقيامها من غفوتها: خصّص له مقالا مستقلاّ في جريدة الشهاب عنون له بـ"**ما هو الإخلاص** ومن هو المخلص"[1].

استند في هذا المقال وغيره إلى مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لبيان هذا الموضوع وتجليته للقارئ.

1- أمّا **الحديث الأول**: فأشار إليه ولم يصرّح بلفظه: حين أكّد على أنّ "العالم لَمّا كان في الإسلام وارثا للنبي" الكريم ρ؛ فعليه أنّ يتأهّب **بالإخلاص** و**الصدق** و**الوفاء** في خدمة العلم والدين ورعاية مصالح الناس[2]؛ الناس[2]؛

في إشارة منه إلى حديث أبي الدرداء τ عن النبي ρ قال: ((**إنّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**))[3].

فنلاحظ هنا أنّ درس هذا الحديث عنده لم يكن لفظيا بقدر ما كان تجسيدا لمعنى ومغزى من مغازيه البعيدة، التي قد لا نهتدي إليها عند الوقوف على فهم دلالات الألفاظ والعبارات.

2- و**الحديث الثاني**: أشار إليه بمعناه كذلك: حيث وصف **المرائي** الذي يريد السمعة والمصلحة المادية – دون إخلاص لقضية الدين والوطن– متشبّعا بما ليس عنده؛ في إشارة لقوله ρ: ((**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**))[4].

كما تحدّث عن إخلاص العبادة لله وما ينافيها، وأورد في ذلك أحاديث مرفوعة وموقوفة[5].

ثالثا- النهوض بالتعليم وتطويره في شتى المجالات:

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، تخ: 12-3-1933/ مج: 9/ ص: 188.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، مج: 9/ ص: 189.

[3]- وهو جزء من حديث أبي الدرداء τ عن النبي ρ مرفوعا: أخرجه: **الترمذي**: الجامع، أبواب العلم، ق: 2682. و**أبو داود**: السنن، كتاب العلم، ق:3641. وهو **حسن بشواهده** كما ذكر: ابن حجر في "الفتح" والأرنؤوط في تحقيق أبي داود.

[4]- أخرجه: **البخاري**، الصحيح (مع الفتح)، كتاب النكاح، 394/9 ق: 5219. و**مسلم**، الصحيح (مع النووي)، كتاب اللباس والزينة، 336/14 ق: 2129. من حديث عائشة رضي الله عنها.

[5]- ينظر: مجلة "الشهاب"، تخ: 12-3-1933/ مج: 9/ ص: 192-196. ومقالات في الدعوة إلى النهضة، 132-133 و137.

يمكن القول أنّ العامل الأساسي لقيام النهضة الجزائرية المنشودة عند الشيخ "العربي التبسي" هو: **النهوض بالتعليم ومحاربة الجهل** والأمية؛ حيث كان يعتبر أنّ الجهل هو "السبب الأساسي في خراب الأمم وسقوط الشعوب وتدهورها"، وأنّ "**الجاهل مجردّ ميّت يَمشي على قدمين**"[1].

وإذا كان الاستعمار الفرنسي هيّأ الأسباب لانتشار الجهل والأمّية بين الجزائريين، وعمل على وأد النشاط العلمي وتعطيل الطاقات البشرية والمواهب الإنسانية الجزائرية[2].

فإنّ العلم هو السلاح الأكبر والأمضى في معركة الهوية واسترجاع السيادة؛ وما لحق بالجزائر –حسب الشيخ التبسي– من انحطاط وفقر وتأخّر حضاري: لا يُرفع إلاّ بالعلم والتعليم[3].

– في هذا السياق وقف الشيخ "العربي التبسي" مرة أخرى على **حديث** النبي ρ: ((**الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء**))[4]؛ مستشهداً به على: أنّ العلم ميراث النبوة "لتكوين الإنسان الفاضل" في مختلف الميادين؛ فكما نقل العلماء عن الأنبياء، سينقل التلاميذ والطلبة عن العلماء؛ لتستمر حلقة العلم في الاتصال والاستمرار.

فطلبة اليوم هم علماء الغد الذي أعطاهم النبي ρ "حق النيابة عنه"[5]؛ في نشر العلم وتبليغه للأجيال اللاحقة.

والملاحظ أنّ الشيخ "التبسي" استفاد من هذا الحديث **فائدتين** عظيمتين، هما: **الأولى**: عظم شأن وظيفة المعلمين والمصلحين؛ لكونهم ينوبون عن الأنبياء في حمل العلم الذي هو ميراث النبوة.

و**الثانية**: معنى **الاستمرارية**: بنقل العلم من التلميذ إلى من بعده جيلا بعد جيل.

- **معالم المشروع التعليمي عند "العربي التبسي"**: مشروعه التعليمي ليس مجرد كلام نظري، بل هو خطوات عملية رسم معالمها بوضوح في كثير من مقالاته وخطاباته، والتي يمكن تلخيصها من خلال ما يلي:

– أشاد الشيخ بالتعليم الديني الذي يلقّن الناس تعاليم الإسلام الصحيحة، ويصحّح المفاهيم الخاطئة؛ بعيدا عن التنطّع والخرافات التي زرعت في أفكار الناس وجعلته يعيش في الأوهام ويصدّق المشعوذين والدجالين.

– كما دعا إلى تنسيق النشاطات العلمية في إطار: الجمعيات والنوادي والمعاهد والمدارس ونحوها[6].

---

[1]– ينظر: جريدة "البصائر"، ع: 246/ تخ: 11-1953/ مج: 6/ ص: 165. =ع: 247/ تخ: 11-1953/ مج: 6/ ص: 169.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 44/ تخ: 26-7-1948/ مج: 5/ ص: 346.

[3]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 192.

[4]– سبق تخريجه في: ص7.

[5]– ينظر: جريدة "البصائر"، ع: 248/ تخ: 20-11-1953/ مج: 6/ ص: 183.

[6]– ينظر: مجلة "الشهاب"، تخ: 1932/ مج: 8/ ص: 469.

– وأكّد على ضرورة **إنشاء مدرسة أهلية** عربية: لتعليم المبادئ الأساسية من اللغة والدين والمعارف الحضارية الأخرى، واعتبرها من "المشاريع الحيوية" التي لا يمكن إهمالها والتغاضي عنها[1].

دعا إلى ذلك منذ سنة (1926م): وهو ما تحقّق بالفعل سنة (1947م): حين أنشأت "جمعية العلماء" بدعم وتمويل شعبي خالص "معهد عبد الحميد بن باديس" بقسنطينة[2]؛ وعُيّن مديرا له: وتحدّث عنه في كثير من مقالاته في "البصائر".

– كما بيّن في غير ما مقال ومناسبة أنّ العلوم الدينيّة واللغوية على أهميّتها غير كافية لوحدها، بل على طالب العلم الجزائري: أن يتسلّح بالعلوم الكونية والتكنولوجية حتى يسير مع قاطرة التطور الأوربي في هذا المجال، واقترح في هذا الشأن إرسال بعثات علمية إلى أوربا[3]؛ بعد أن يتلقى تعليمه التأصيلي الديني والتاريخي هنا في المدارس العربية الإسلامية.

وفي هذا الشأن نوّه الشيخ "التبسي" إلى: أنّ "معهد ابن باديس" بقسنطينة الذي كان مديرا له: يدرس فيه الطلبة: الرياضيات والعلوم الطبيعية؛ إلى جانب علوم العربية والعلوم الإسلامية[4].

– ثم إنّ العلم عند "الشيخ العربي التبسي" وإن كان يستقى معارفة من منابع الأصالة، إلاّ أنّه ينبذ الجمود، وينمو ويتغذى بالاجتهاد والتجديد[5].

– كما أشاد بالأعمال الجليلة والآثار الحميدة لجمعية العلماء في خدمة الإسلام وإنشاء المدارس التعلمية في شتى أنحاء الوطن، رغم الإمكانيات المتواضعة والضعيفة، إضافة إلى التضييق الممارس من سلطات الاستعمار وإداراته على نشاطاتها[6].

رابعا- ترسيخ مبدأ الأمة في نفوس الناس:

لا شك بأنّ مبدأ الأمة مصطلح قرآني ونبوي؛ كما يدلّ على ذلك: قوله تعالى: **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)** [آل عمران: 110]، ومثل ما جاء في الأحاديث: من أنّ "المسلمين إنهم **أمة واحدة**"[7]، وكقوله ρ: (((إِنَّ **أُمَّتِي** يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ))[8]؛ والأحاديث في ذلك كثيرة.

---

[1]– ينظر: المصدر السابق، ع: 34/ تخ: 1926/ مج: 2/ ص: 31.

[2]– ينظر: جريدة "البصائر"، ع: 44/ تخ: 26-7-1948/ مج: 5/ ص: 346. مقالات في الدعوة إلى النهضة، 155.

[3]– ينظر **مثلا** ما قاله في أحد كتاباته في: جريدة "البصائر"، ع: 90/ تخ: 5-9-1949/ مج: 2/ ص: 366.

[4]– ينظر: جريدة "البصائر"، ع: 197/ تخ: 28-7-1952/ مج: 5/ ص: 138.

[5]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 90/ تخ: 5-9-1949/ مج: 2/ ص: 366.

[6]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 145-146.

[7]– سيرة ابن هشام، 501/1. والبداية والنهاية، ابن كثير، 556/4.

[8]– أخرجه: البخاري، الصحيح (مع الفتح)، كتاب الوضوء، ق 136.

فالجزائر: أمّة تربط بين شعبها روابط الدين واللغة والأرض والتاريخ؛ وهذه الروابط المكينة هي: أصول الانتماء الوطني الذي تكوّن خصائصها التي تجعلها قائمة بذاتها؛ ومستقلة عن الاستعمار المغتصب لحقوقها.

هذا المصطلح القرآني والنبوي استثمره الشيخ "العربي التبسي" ليغرس في نفوس الجزائريين: أنّ للجزائر "شخصية بارزة" وكيانا مستقلاّ: فكان كثيرا ما يتمثّل في مقالاته –وفي تلك الظروف الاستعمارية الصعبة– بمصطلح "**الأمة الجزائرية**"؛ بل افتتح بهذه العبارة مقالين له: إحداهما: في مجلة "النجاح"، والأخرى في مجلة "الشهاب"[1]، وأحيانا يقول: "**الوطن** الجزائري" وأحيانا "القطر الجزائري" ونحوها من الصيغ المعبّرة عن وجود هذه الأمّة وإرادتها للحياة؛ متى ذلك؟ في: سنة: (1926م) وبعدها؛ في زمن كانت الجزائر تأنّ تحت وطأة الاستعمار الغاشم، وكان كثير من الناس في العالم لا يعرفون الجزائر إلاّ تحت حكم البوليس الفرنسي.

كما كان تقرير هذا المبدأ وتكراره مراراً، ردّا على الجهود الاستعمارية التي كانت تسعى إلى إضعاف كيان الأمّة ومحونا أو إدماجنا[2]؛ من أجل ذلك كان كثيرا ما يؤكّد على أنّ الشعب الجزائري شعب مستقلّ عن فرنسا فرنسا وأمّة متميزة لها خصائصها التي تنتمي إليها[3]؛ وهي تستحق أن تكون في طليعة الأمم.

مثلما كان يؤكّد أيضا على: **مبدأ** "**حبّ الوطن**": ويعتبره عقيدة فطرية في طبائع البشر، ويرى بأنّ **الوطنية**: أساس الفضائل السامية و"هامة المعالي"؛ باعتبارها مقوما من مقومات الأمة، وعاملا من عوامل اجتماعها وحفظ وحدتها[4].

خامسا- ضرورة السير على النهج السوي في علوم الشرع وأحكامه:

لا تستفيق الأمة من غفوتها عند الشيخ "العربي التبسي" إلاّ إذا سارت على النهج السليم في دينها، وتجاوزت الخرافات والأفكار البالية التي نَمت وانتشرت بسبب الجهل والأمّية، ثم عمد الاستعمار إلى تغذيتها وتشجيع التمسّك بها.

لذلك اعتبر التمسّك بالمفاهيم الصحيحة؛ المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم، سداً متينا أمام التصورات غير السليمة لتعاليم الدين، والخرافات التي تعيق التحضّر والرقيّ[5].

لقد بيّن في غير ما موضع من كتاباته أنّ المسلك الصحيح في فهم أحكام الدين وتشريعاته، لا يَمرّ إلا عبر التمسك بالوحيين والاقتداء بهديهما، مستدلاّ على ذلك بجملة من الأحاديث، منها: حديث النبي ρ:

---

[1]– ينظر على سبيل **المثال** المواضع الآتية: مجلة "الشهاب"، ع: 31/ تخ: 1926/ مج: 1/ ص: 617، وكذا: مج: 4/ ص548. وجريدة "البصائر": ع: 204/ تخ: 20-10-1952/ مج: 5/ ص: 189. ومقالات في الدعوة إلى النهضة، 149 و223.

[2]– ينظر: جريدة "البصائر"، ع: 248/ تخ: 20-11-1953/ مج: 6/ ص: 183.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 248/ تخ: 20-11-1953/ مج: 6/ ص: 183.

[4]– ينظر: مجلة "الشهاب"، ع: 34/ تخ: 1926/ مج: 2/ ص: 30.

[5]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 42. نقلا عن: النجاح، ع: 238/ تخ: 13-10-1925.

((**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**))[1]، وحديث العرباض بن سارية τ المشهور: أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ؛ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ**))[2]؛ وذكر هنا لفظ "مسند أحمد"[3].

حيث بيّن في ضوء هاذين الحديثين وغيرهما: بأنّ الأدلة التي تثبت بها أحكام الدين وأخلاقه: هي: الكتاب، والسنة الصحيحة، والإجماع بشروطه، والقياس بشروطه، كما هو مقرّر عند الأصوليين، والعقل هو الآلة التي نستعملها في الفهم والبيان والاستنباط؛ وفق الضوابط والقواعد المتعارف عليها عند العلماء[4].

سادسا- قيام العلماء والمصلحين بواجبهم الإصلاحي:

أكّد الشيخ "العربي التبسي" على أهمية قيام كل فرد بالواجبات المنوطة به حسب قدرته واستطاعته، متفانيا في تحقيق ما يرفع شأن أمته بين الأمم، كادحا كل الكدح في سبيل ذلك، رغم ما يلاقيه من النصب والصعاب، وحثّ على أن يبذل كل فرد جزائري الجهد الأقصى المستطاع لديه؛ "وفاء للوطن والشعب".

وفي طليعة هؤلاء ركّز على مسؤولية العلماء والمثقفين والمصلحين في هذا الشأن؛ الذين يجب عليهم القيام بالدور الحضاري المنوط بهم؛ بأن يجتهدوا في تعليم الناشئة والشباب الذين هم أمل الغد، وأن يعملوا على إصلاح أحوال المجتمع في شتّى النواحي للوصول به إلى التطوّر والرقي الحضاري[5].

استشهد على هذا الدور للريادي للعلماء والمصلحين في عدد من مقالاته بجملة من الأحاديث منها[6]:

1- حديث النبي عليه الصلاة والسلام: ((**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**))[7].

2- وحديث النبي ρ: ((**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ**))[8]؛ الذي هو جزء من خطبة الوداع المشهورة.

---

[1]- أخرجه: **مالك**، الموطأ، كتاب القدر، 899؛ **بلاغا**: ووصله ابن عبد البر في "التمهيد: 274/16". وأخرجه: **الحاكم**، المستدرك، كتاب العلم، 172/1 ق: 319. بألفاظ متقاربة: من حديث أبي هريرة τ، وصحّحه الألباني في "صحيح الجامع الصغير: 566/1".

[2]- أخرجه: **الترمذي**، الجامع، أبواب العلم، 44/5 ق:2676. **وأبو داود**، السنن، كتاب السنة، 16/7 ق: 4607. **وابن ماجه**، السنن، أبواب السنة، 28/1 ق:46. **وأحمد**، المسند، 438/10 ق:4577. والحديث صحيح: صحّحه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي.

[3]- ينظر: مجلة "الشهاب"، ع: 158/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 169-170.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ع: 166/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 322.

[5]- ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 48-50. نقلا عن: النجاح، ع: 298/ تخ: 18-5-1926.

[6]- ينظر: المصدر نفسه، الموضع نفسه.

[7]- سبق تخريجه في: ص7.

[8]- أخرجه: **البخاري**، الصحيح (مع الفتح)، كتاب العلم، 263/1 ق: 105. وفي كتاب الحج، ق: 1741. **ومسلم**، الصحيح (مع النووي)، كتاب القسامة، 169/11-171 ق: 2998. من حديث أبي بكرة τ.

3- والحديث الثالث: قوله ρ: ((**رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**))، وهو جزء من حديث أبي بكرة τ السابق في حجة الوداع، كما جاء أيضا تتمة لحديث آخر عن النبي ρ: وهو قوله: ((نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، **فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**))[1].

أورد هذه الأحاديث متتالية في سياق واحدا مستشهدا بها على مجموعة من المعاني التي تضّمنتها مقالته، **خلاصتها**: أنّ النبي ρ لم يترك أمّته هملا دون موجّهين ومصلحين؛ وإنّما ترك فيها حملة العلم والعلماء: الذين حثّهم على رعاية شؤون عامة الناس؛ من خلال تبليغ تعاليم الدين الذي به صلاح أحوال دنياهم وأخراهم؛ **فكان واجبا عليهم أن يقوموا بدورهم الحيوي** في التعليم والتوعية والإصلاح أداء لوصيّة النبي ρ في التبليغ عنه، فهم رعاةٌ في هذا الجانب؛ ومسؤولون عن رعاياهم من عامّة الناس الذين انتشر فيهم الجهل والأمية والتخلّف؛ مع تشجيع الاستعمار على انتشار هذه الآفات بين الجزائريين، حتى يبقوا تحت وطأة العبودية والاستغلال.

4- وفي مقال له بجريدة "**البصائر**": استعمل أسلوب الشرط لتوكيد معنى حديث: ((**الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**))[2]؛ فقال: "إن كنتم حقّا معشر العلماء ورثة للأنبياء: فعليكم" بالسير قدما في نشر العلم مع الصبر والاحتساب[3].

وفي موضع آخر من مجلة "**الشهاب**" وقف على لفظ "العلماء" في الحديث: على غرار **ما ذكره الشراح** من أنّ المراد "بالعالم" في الحديث[4]: هو المشتغل بالعلم تحصيلا وتبليغا؛ وبالتالي لا يستحقّ هذا اللقب الشريف[5] وفضائله -الواردة في الحديث[6]- حتى يحقّق المقامين.

5- كما استدلّ بحديث: ((**بَلِّغُوا عَنِّي**))، وهو مطلع حديث يرويه عبد الله بن عمرو τ عن النبي ρ: وتمامه: ((**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ))[7].

---

[1]- أخرجه: **الترمذي**، الجامع، أبواب الأدب، 34/5 ق: 2657. **وابن حبان**، في صحيحه، كتاب العلم، 268/1 ق: 66. من حديث ابن مسعود τ. وقال الترمذي: حسن صحيح.

[2]- سبق تخريجه في: ص7.

[3]- ينظر: جريدة "البصائر": ع: 204/ تخ: 20-10-1952/ مج: 5/ ص: 189.

[4]- ينظر في ذلك: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 686/6.

[5]- ينظر: مجلة "الشهاب": تخ: 12-3-1933/ مج: 9/ ص: 189.

[6]- في قوله: ((**وإنَّ العالم ليستغفِرُ لهُ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ والحيتانُ** في جوف الماء، وإن **فضلَ العالمِ على العابِدِ كفضل القَمَرِ** ليلةَ البدرِ على سائر الكواكِبِ)) وهذا لفظ "أبي داود" في حديث أبي الدرداء: الذي سبق تخريجه في: ص7.

[7]- أخرجه: **البخاري**، الصحيح (مع الفتح)، كتاب أحاديث الأنبياء، 606/6 ق: 3461.

حيث اكتفى هنا بإيراد الشاهد منه –وهو مطلع الحديث للدلالة: على مسؤولية العلماء المصلحين في: **تبليغ** شرائع الإسلام و**الدعوة** إليها[1]، وتبصير الناس بكتاب الله وسنة نبيّه وأصحابه ومن سار على طريقتهم في العلم والعمل والأخلاق.

كما أكّد على ضرورة بقاء العلماء في القطر الجزائري مرابطين من أجل الإصلاح ونشر العلم والوعي بين الناس؛ متمثلا بالمثل الشعبي القائل: "هنا يموت قاسي"[2]؛ هكذا ذكره باللفظ رحمه الله تعالى.

سابعا- مبدأ التضحية:

كان الشيخ "العربي التبسي" يرى: بأنّه لا يمكن الجمع بين إرضاء أهواء النفس الشخصية وأداء الواجب على أتمّ ما يكون: إلاّ بالتضحية بالجانب الشخصي وحظّ النفس؛ لأنّ الإسلام السمح "دين أعمال لا دين أقوال"[3].

حيث دعا إلى التحلي بالإقدام والتضحية في سبيل الغاية الشريفة السامية: نهضة الأمة؛ لكي يكتب لنا الفوز في هذا "الامتحان العالمي العظيم"[4] وهو امتحان النهضة والرقي.

لتوكيد مبدأ التضحية وضرورة مواجهة المخاطر والصعاب مهما كانت استشهد بحديثين:

1- حديث: «**الإثم حزّاز القلوب**» وفي بعض الروايات: «حوّاز القلوب»[5]، لكن أورده الشيخ بلفظ: «إياكم وحزّاز القلوب»: في "البصائر"[6]، وجعله مرفوعا إلى النبي ρ؛ وهكذا ورد مرفوعا في بعض طرقه: لكن الصواب أنّه موقوف على ابن مسعود τ كما قرّر غير واحد من علماء الحديث[7].

والملاحظ أنّ الشيخ ذكر الحديث بمعناه أو مغزاه العام؛ فقد كان خطابه شفويا وكتبه عنه أحد التلاميذ.

ومعنى "حزّاز" أو "حواز" في الحديث: أي: ما حزّ في القلب وحاك في النفس فاتركه إذا لم تطمئنّ إليه، أو هو ما يغلب على القلب ويحوزه[8].

---

[1]- ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 141.

[2]- ينظر: جريدة "البصائر"، ع: 197/ تخ: 28-7-1952/ مج: 5/ ص: 138.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ع: 204/ تخ: 20-10-1952/ مج: 5/ ص: 189.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، الموضع نفسه. ومقالات في الدعوة إلى النهضة، 204.

[5]- أخرجه: **الطبراني**، المعجم الكبير، 149/9 ق: 7848؛ موقوفا على ابن مسعود τ. و**البيهقي**، شعب الإيمان، 307/7 ق: 5051: مرفوعا، وفي: 410/9 ق: 6892: موقوفا. والحديث صحيح موقوفا.

[6]- ينظر: جريدة "البصائر": ع: 204/ تخ: 20-10-1952/ مج: 5/ ص: 189.

[7]- ينظر: تخريج أحاديث الإحياء، العراقي وغيره، 100/1. والمطالب العالية، ابن حجر، 169/8. والسلسلة الصحيحة، الألباني، 221/6.

[8]- ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، 377/1-378. وتخريج أحاديث الإحياء، العراقي وغيره، 100/1.

ولعلّ **مراد الشيخ** من إيراد **الحديث** في هذا المقام: أنّ قلب المصلح ينبغي أن يكون قويا صلبا، بحيث لا يضعف أمام الصّعاب والخطوب، كما لا يضعف أمام الشهوات والمعاصي، حتّى يغالب كلّ العقبات والصعاب بقلب قوي الإيمان.

ذلك أنّ الشيوخ والمدرّسين القائمين على التعليم في المعاهد الدينية في قسنطينة وغيرها؛ كانوا يتحمّلون مشاقّا مادية واجتماعية صعبة بسبب ضعف تمويل المعاهد العلمية آنذاك، التي كانت تعتمد على التبرعات التي يقدّمها عامة الشعب من الفقراء أو المتوسطي الحال، "فحرموا متع الدنيا ولذائدها" من أجل أداء واجباتهم: نحو: الله والأمّة والوطن: كما قال رحمه الله[1].

2- الحديث الثاني: الذي استشهد به: ذكره بصيغة: "البس للبلاء سربالا": جوابا لمن قال له: أحبك يا رسول الله؛ هكذا أورده في خطاب له بجريدة "البصائر"[2].

لكن لفظ الحديث القريب من هذا السياق الذي وقفت عليه عند "ابن حبان" وغيره جاء فيه: قال رجل: يا رسول الله إني لأحبك؛ فقال ρ: ((فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا؛ **فَأَعِدَّ** لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا، فَإِنَّ **الْبَلاءَ أَسْرَعُ** إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ))[3].

أراد الشيخ "التبسي" -رحمه الله- أنّ يستشهد بهذا الحديث على: ضرورة التهيّأ للأيام الصعبة، والتصبّر للبلاء وإعداد العدّة الإيمانية له، خاصة ممن تصدّى للدعوة والإصلاح والتعليم، في الواقع الاستعماري القاسي الذي كانوا يعيشونه آنذاك، وهو ما يدلّ عليه الحديث الذي أشار له الشيخ بالمعنى.

من خلال الحديثين أوصى الشيخ رحمه الله: بالتضحية والصبر والثبات وقوة القلب؛ للصمود أمام الظروف المعيشية الصعبة التي كان يتجشّمها المدرّسون والمصلحون العاملون لصلاح الدين والوطن، ذلك أنّ فرنسا على حدّ قوله: صارت تعتبر تعليم القرآن ومحاربة الأمية -دون ترخيص من فرنسا- تعتبره: من الجرائم التي يُحاكم عليها صاحبها ويعاقب[4].

ثامنا- نقل الخبرات إلى الأجيال اللاحقة:

كان الشيخ "العربي التبسي" رحمه الله يعوّل كثيرا على دور الأجيال الصاعدة في نهضة الجزائر وقيامها من غفوتها إبان الاستعمار؛ لذا كان يدعو إلى إعداد الشباب والناشئة على العلم النافع وحب الوطن، وتعبئتهم بما أمكن من المهارات التي تؤهلهم لتحمّل مسؤولية الدين والوطن في المستقبل.

---

[1]- ينظر: جريدة "البصائر"، ع: 247/ تخ: 13-11-1953/ مج: 6/ ص: 169. ومقالات في الدعوة، 198 و227.

[2]- ينظر: جريدة "البصائر"، ع: 204/ تخ: 20-10-1952/ مج: 5/ ص: 189.

[3]- أخرجه: **الترمذي**، الجامع، أبواب الزهد، 576/4 ق: 2350. و**ابن حبان**، في صحيحه، 185/7 ق: 2922. وأبو بكر **الكلاباذي**، في "بحر الفوائد"، 87. وهذا اللفظ له. من حديث عبد الله بن مغفل τ. وقال الترمذي: حسن غريب.

[4]- ينظر: جريدة "البصائر"، ع: 44/ تخ: 26-7-1948/ مج: 5/ ص: 346. ومقالات في الدعوة إلى النهضة، 151 و227.

استند "الشيخ" في تقرير ذلك على أحاديث من السنة منها:

1- حديث المصطفى ρ: ((**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً**))[1]؛ ذكر الحديث هكذا[2]؛ ولم يكمله: فكأنّه اكتفى بالإشارة إليه لشهرته.

من خلال هذا الحديث: اعتبر إعداد أبناء الوطن علميّا وإيمانيا، وبث روح العمل الجماعي في نفوسهم؛ من الأسباب الحيوية لحياة الأمّة الجزائرية، وسبيلا حميداً ينبغي أن تتناقله الأجيال ويحمله الخلف عن سابقيهم.

2- أما **الحديث** الموالي: فهو قوله ρ: ((**لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**))[3]؛ الذي ذكره ضمنيا في كلامه بمعناه، ولم يصرّح بأنّه من حديث للنبي ρ.

بيّن من خلال هذا الحديث حاجة الأجيال اللاحقة إلى الاستفادة من تجارب السابقين لهم، كما ينبغي أن يلقّن السابق خبرته في شؤون الحياة لكل لاحق، لتكون موعظة للأجيال[4]، ودرسا قيّما لهم، لتفادي النقائص والمحافظة على المكتسبات وتطويرها.

في هذا السياق كان: كثيرا ما يشيد: بقوة الشعب الجزائري وهمّته العالية، وصدقه وكرمه وشهامته، رغم كلّ ما يعانيه من غبن واضطهاد من المستعمر الجاثم على صدره منذ أمد طويل[5].

تاسعا- ضرورة العمل الجاد والأخذ بالأسباب الكونية والإيمانية:

تحتاج النهضة في فكر الشيخ "العربي التبسي" إلى "عزيمة ماضية" على: العمل الجاد الذي يستطيع الشعب الجزائري من خلاله أن يعبّر عن وجوده وتطلعاته للحريّة والرقيّ.

فعلى كلّ فرد أن يقوم بواجبه: الفلاح، وصاحب المال، والسياسي، والمعلّم؛ كلّ يسعى حسب قدراته وتخصّصه للوصول إلى الأهداف المنشودة، بالعمل الدؤوب دون كلل ولا ملل.

1- في هذا السياق استند إلى **حديث**: ((**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**))[6]؛ للتأكيد على ضرورة الاجتهاد في العمل الجاد والمتفاني لتحقيق نهضة ذات نتائج عملية محققة[7].

---

[1]- أخرجه: **مسلم**، الصحيح (مع النووي)، كتاب الزكاة، 104/7-105 ق: 1017؛ بزيادة "من سنّ في الإسلام". **وابن خزيمه**، في صحيحه، كتاب الزكاة، 112/4 ق: 2477. من حديث جرير بن عبد الله τ.

[2]- ينظر: مجلة "الشهاب"، ع: 31/ تخ: 1926/ مج: 1/ ص: 618.

[3]- أخرجه: **البخاري**، الصحيح (مع الفتح)، كتاب الأدب، 650/10 ق: 6133. **ومسلم**، الصحيح (مع النووي)، كتاب الزهد والرقائق، 325/18 ق: 2998. من حديث أبي هريرة τ.

[4]- ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 47. نقلا عن: النجاح، ع: 298/ تخ: 18-5-1926.

[5]- ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 46. نقلا عن: النجاح، ع: 238/ تخ: 13-10-1925.

[6]- أخرجه: **البخاري**، الصحيح (مع الفتح)، كتاب التفسير، 906/8 ق: 4949. **ومسلم**، الصحيح (مع النووي)، كتاب القدر، 412/16-413 ق: 2647. من حديث عليّ بن أبي طالب τ مرفوعا.

[7]- ينظر: مجلة "الشهاب"، ع: 31/ تخ: 1926/ مج: 1/ ص: 619.

2- وفي مقال آخر له في "البصائر" ذكر الحديث السابق و**حديث**: ((**النَّاسُ مَعَادِن**))[1]: للاستدلال به على أنّ: مِن الناس مَن يكون أداة للخير الذي يسّره الله تعالى له ووفقه إليه، ومنهم من سخط عليه المولى تعالى ولم يكن من الموفَّقين؛ فكان أداة لفعل الشرور والقبائح[2].

لذلك يجب أن يحرص كلّ فرد من المجتمع على الأعمال التي تخدم دينه ووطنه، أو على الأقل تقوّي شوكة من سلك هذا السبيل.

° **تنبيه: الانفتاح على العالم والاستفادة من تجارب الشعوب**: أكّد الشيخ رحمه الله على هذه الفكرة في كثير من مقالاته، ومع ذلك لم يستشهد عليها بحديث.

لكن يمكن: القول: إنّه اكتفى بما هو مشهور ومتعارف عليه من دلالة القرآن والسنة معا[3]: على عالمية الإسلام، ورسالته العامة إلى جميع الناس وكافة الشعوب.

فقد أرشد -رحمه الله- إلى أهمية "التفاعل الحضاري البناء" الذي يقوم على: الاستفادة من تجارب غيرنا من الأمم والشعوب في العالم، سواء منها: الأمم الغربية أو العربية التي بذلت الجهود الكبيرة: للوصول إلى التطور الحضاري[4]؛ من خلال: العمل الدؤوب دون كلل ولا ملل، وتوحيد الجهود لخدمة الأوطان لا للأغراض الخاصة الخاصة والفردية، مع تقديم مصلحة الجميع على الفرد.

وذلك أنّ الجزائر اليوم في العصر الحديث جزء من العالم، فلا يحسن بها أن تنعزل عنه؛ لأنّ "من انقطع عن العالم قاطعه العالم" كما قال[5].

وفي هذا السياق أذكر كلمة بديعة له في مقال بجريدة "البصائر" حيث يقول: "**الجزائر تعيش في العالم لا في الجزائر**... وإذا ظنّ ظانّ أنّنا لسنا في العالم فهو غالط"[6].

ويبدو أنّ الشيخ -رحمه الله- من خلال هذا المبدأ القرآني والنبوي: قد **دعا** في **وقت المبكّر** إلى أن تخرج قضية الجزائر إلى العالمية؛ بعد أن أصبحت مبادئ "الحرية، والاستقلال، والوطن" قيما عالمية تقرّها كل الدول والشعوب في المعمورة.

---

[1]- عن أبي هريرة τ أنّ الرسول ρ قال: ((النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ؛ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا))، أخرجه: **البخاري**، الصحيح (مع الفتح)، كتاب أحاديث الأنبياء، 506/6 ق: 3383. و**مسلم**، الصحيح (مع النووي)، كتاب البر والصلة والآداب، 295/16 ق: 2638. وهذا اللفظ لمسلم.

[2]- ينظر: جريدة "البصائر"، ع: 226/ تخ: 17-4-1953/ مج: 6/ ص: 12.

[3]- **مثل**: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[سبأ: 28]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: 13]، وإرسال النبي ρ الرسالة إلى ملوك الأرض في عصره يدعوهم وقومهم إلى الإسلام.

[4]- ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 44. نقلا عن: النجاح، ع: 240/ تخ: 20-10-1925.

[5]- ينظر: جريدة "البصائر": ع: 204/ تخ: 20-10-1952/ مج: 5/ ص: 189.

[6]- جريدة "البصائر"، ع: 197/ تخ: 28-7-1952/ مج: 5/ ص: 138.

المطلب الثالث: منهجه في إيراد الأحاديث وتفسيرها:

يتّضح ذلك من خلال العنصرين الآتيين:

أولا- منهجه في إيراد الأحاديث: نلمح في مقالات الشيخ "العربي التبسي": **منهجا فريدا** في إيراد الأحاديث أثناء الاستدلال والاستشهاد بها، إذ لم يكن سياقه للأحاديث على طريقة واحدة في كتاباته، بل كان مختلفا؛ كما سيتضح ذلك من خلال هذه النماذج التي توضح طريقته الخاصة في ذلك:

- أنّه يذكر لفظ الحديث تاما أو شطراً منه، دون أن يقول: قال الرسول كذا؛ وإنّما يعرف القارئ المطلع بأنّه من أحاديث النبي ρ.

من **أمثلة** ذلك:

– ما جاء في مقال له بجريدة النجاح حيث قال: «وما تركنا سيد المرسلين هملا، فاعتبروا يا أولي الأبصار ((**كُلُّكُمْ رَاعٍ**، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))[1]»[2]؛ كأنّه يقول: اعتبروا بهذا الحديث الذي تركه لنا رسولنا الكريم موعظة وسبيلا نهتدي به في هذه الأحاديث الموجّهة والمرشدة لطريق الرّقي والفلاح الرفعة.

– إيراده لحِديث النعمان τ: في الحث على التكافل والاتحاد والتعاون بين المسلمين ليكونوا: كالجسد الواحد[3].

- وقد يستفيد من الحديث معنى عاما يضمّنه في عبارته؛ بحيث يكون كلام الشيخ موافقا لشطر من الحديث بمعناه وموافقا لشطر آخر منه باللفظ؛ **مثل**: استشهاد بحديث: ((**لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**))[4]؛ فقال: «لا يُلدغ العاقل من حجر مرّتين»[5].

- وأحيانا يضمّن كلامه عبارات من أحاديث مختلفة؛ ليس على سبيل الاستدلال: لكن من باب **الاقتباس** والاستلهام التعبيري من الأحاديث[6]؛ مثال ذلك: قوله: «"**أخوف** ما يخافه"[7] المسلمون، الذين

---

[1]– سبق تخريجه في: ص7.

[2]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 47. نقلا عن: النجاح، ع: 298/ تخ: 18-5-1926.

[3]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 41. نقلا عن: النجاح، ع: 238/ تخ: 13-10-1925. والحديث سبق في: ص5.

[4]– سبق تخريجه في: ص15.

[5]– ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 47. نقلا عن: النجاح، ع: 298/ تخ: 18-5-1926.

[6]– ينظر: مجلة "الشهاب"، ع: 31/ تخ: 1926/ مج: 1/ ص: 619.

[7]– هذه العبارة جزء من حديث أبي سعيد الخدري τ: عن النبي ρ قال: ((أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا...)). أخرجه: **مسلم**، الصحيح (مع النووي)، 143/7 ق: 1052. كما وردت هذه العبارة في أحاديث أخرى.

"**خالطت بشاشة** الإيمان قلوبهم"[1] على دينهم دعوة الدجاجلة»[2]؛ ويظهر هنا التأثّر البالغ بنصوص الأحاديث النبوية الذي انعكس في عباراته وسياقاتها.

و**مثل**: تضمينه لحديث النبي ρ: ((**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**))[3]؛ في قوله: «المرائين المتشبعين المتشبعين بما ليس عندهم»[4]؛ فهذا المعنى مستفاد من الحديث المذكور.

- وقد يكتفي –رحمه الله– بذكر مطلع الحديث لكونه الشاهد؛ ويشير إلى تتمّته بقوله: "الحديث"[5]؛ بينما بينما نجده في مواضع أخرى من مقالاته: يسوق الحديث كاملا مع طوله، كما صنع في إيراده للحديث المشهور عن العرباض τ تاما[6].
- وقد يذكر معنى وجيزا للحديث أو يورد عبارة منه، على أنّها الشاهد على ما قرّره في مقالته[7].
- وأحيانا: يذكر الحديث بلفظه مع اسم الصحابي راوي الحديث[8]، لكن في الغالب لا يذكر الصحابي.
- كما نلاحظ أنّه لا يذكر في الغالب مَن أخرج الحديث من أصحاب مصنفات السنة المشهورة، بينما يذكر في بعض الأحيان مَن أخرج الحديث من أصحاب المصنفات الحديثية؛ **فمثلا**: نجده يقول في بعض مقالاته: "أخرج الشيخان"، أو يقول: "أخرج مسلم" أو "المخرّج في البخاري"[9]وهكذا.
- بل أحيانا يتوسّع ويذكر اختلاف الروايات والألفاظ؛ مستفيدا من اللفظ الجديد معنًى جديدا يوضّح ويقوي ما يبيّنه من أفكار وتقريرات[10].
- وأحيانا يصدّر المقالة بحديث أو بجملة من الأحاديث[1] يجعلها: كالنبراس الذي سيستهدي به في كلامه، كلامه، وكالمنطلق الذي يبث منه ما يقدّمه من معاني نهضوية وأفكار تبعث على الجدّ والعمل الجاد والدؤوب للوصول إلى تحقيق الرقيّ الحضاري، الذي يُرجع للشعب كيانه المستقل وسيادته المسلوبة بلا ثَمن.

---

[1]– هذه العبارة جزء من حديث ابن عباس τ: في قصة "هرقل" ملك عندما أرسل النبي ρ كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام؛ فسأل بعض تجار قريش عن الرسول ρ وأتباعه، وكان فيما قال: «وسألتك أيرتدّ أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا؛ وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب». أخرجه: **البخاري**، الصحيح (مع الفتح)، 44/1 ق: 7.

[2]– ينظر: مجلة "الشهاب"، ع: 115/ تخ: 1927/ مج: 3/ ص: 296.

[3]– سبق تخريجه في: ص7.

[4]– ينظر: مجلة "الشهاب"، تخ: 1932/ مج: 8/ ص: 465.

[5]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 31/ تخ: 1926/ مج: 1/ ص: 618.

[6]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 158/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 169–170.

[7]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 115/ تخ: 1927/ مج: 3/ ص: 297.

[8]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 158/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 169 و324.

[9]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 166/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 324. ومقالات في الدعوة إلى النهضة، 100.

[10]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 158/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 170.

وربّما جعل الحديث نفسه عنوانا كما في مقالة له بجريدة البصائر وسمها بـ: "(**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**)[2] أيها الطرقيون"[3].

- جلّ الأحاديث التي ذكرها الشيخ "التبسي" هي في الصحيحين أو أحدهما، وإن لم تكن فيهما فهي تدور غالبا بين الصحة والحسن.

الأمر الذي يشير إلى حرصه على الاستدلال بالسنة الصحيحة فيما يرشد إليه من قيم وأخلاق وسلوكات حضارية كانت الأمة في أحوج ما تكون إليها آنذاك.

ثانيا- منهجه في تفسير الأحاديث وبيان معانيها: يتضح ذلك من خلال ما يلي:

- غالبا ما يقرر المعاني والأفكار التي يبثّها في مقالته؛ ثم يذكر الحديث كمستند لتلك المعاني والأفكار[4].
- لم يركّز الشيخ "العربي التبسي" في جلّ مقالاته الإصلاحية على بيان معاني ألفاظ وعبارات الأحاديث بقدر ما ركّز على مراميها والمعاني الهدائية المستفادة منها، كما هو ملاحظ مما سبق.
- يوظف الشيخ –رحمه الله– أقوال الصحابة رضي الله عنهم في تفسير معاني الأحاديث وبيان مقاصدها، **مثلما**: استند إلى أقوال عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم: في تأييد ما أورده من أحاديث تحضّ على الرجوع إلى سنن رسول الله ρ عند الاختلاف والتنازع، وأنّها هي القاضية على آراء الرجال وأقولهم[5].
- كما يعتمد على القواعد الأصولية في بيان الأحكام المستفادة من الأحاديث، فتكلّم عن القياس وضوابطه المقرّرة في علم الأصول، ويبيّن أهمية العلّة في القياس الصحيح، وخصوصيّة التشريعات التعبّدية التي لا ينبغي إغفالها في هذا الجانب[6].
- وأحيانا يستند إلى أقوال بعض الفقهاء في معنى الحديث: من فقهاء المالكية: "كالشاطبي" وغيره[7]، وحتى من فقهاء الحنفية: من أمثال "أبي يوسف" تلميذ أبي حنيفة وغيره[8].

---

[1]– كما في مقالة "ألا أيّها النوام هبوا" ينظر: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 47. عن النجاح: ع: 298/ تخ: 18-5-1926. وفي موضع آخر من: المصدر نفسه، ص141.

[2]– أخرجه: **مسلم**، الصحيح (مع النووي)، كتاب الإيمان، 291/2 ق: 164. من حديث أبي هريرة τ.

[3]– ينظر: جريدة "البصائر"، ع: 226/ تخ: 17-4-1953/ مج: 6/ ص: 12.

[4]– ينظر **أمثلة** عن ذلك في: مقالات في الدعوة إلى النهضة، 53 و57.

[5]– ينظر بعض **الأمثلة** على ذلك في: مجلة "الشهاب"، ع: 158/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 170 و325 و374.

[6]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 166/ تخ: 4-10-1928/ مج: 4/ ص: 321-322 و548. ومقالات في الدعوة إلى النهضة، 98-99.

[7]– ينظر: مجلة "الشهاب"، ع: 158/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 325. =ع: 34/ تخ: 1-7-1926/ مج: 2/ ص: 30.

[8]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 158/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 171.

كما أرشد –رحمه الله– إلى أنّ: فقه الحديث يُرجع فيه إلى: "أربابَ الصناعة بالأخبار والآثار"؛ ولعلّ مراده بذلك: الصحابة وعلماء الحديث والفقهاء المجتهدون المشتغلون بالسنة رواية ودراية كمالك والشافعي وغيرهما، لذا نجده أحيانا يذكر معنى للحديث ينسبه "لعلماء الحديث" هكذا بالعموم[1].

- وأحيانا كان يعتمد على تبويبات المحدثين في مصنفاتهم؛ لبيان معاني الحديث، أو من أجل أن يبيّن جهود العلماء في جمع أحاديث الموضوع الواحد في باب مفرد[2].
- وقد يسوق عدّة أحاديث متتالية؛ حديثا تلو الآخر، للدلالة على حكم فقهيّ أو مغزى معرفي أو أخلاقي معين.

مثل: إيراده لجملة من الأحاديث للدلالة على: حرمة إيذاء المسلم لأخيه المسلم[3]؛ مستشهدا بحديث: ((**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ** دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ))[4]، وحديث: ((**من غشنا فليس منا**)) وقد سبق.

وكإيراده لجملة من الأحاديث في بيان أنّ الأذكار والعبادات عامةً: **توقيفية** في صفتها وعددها وكيفيتها[5]: فاستشهد بحديث: ((**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**))[6]، ثم حديث: ((**خذوا عني مناسككم**))[7].

وبالتالي هو يقرّر أمرا ما ثم يستشهد عليه لا بحديث واحد، بل بمجموعة من الأحاديث؛ وهي: طريقة الحديث الموضوعي.

وهذا يشير إلى استثمار الشيخ لطريقة الحديث الموضوعي في سوق الأحاديث والإفادة من معانيها المتقاربة.

= كما يذكر أحيانا مؤلفات للمحدثين على طريقة الحديث الموضوعي؛ مثل: ذكره لجملة من الكتب التي أفرد فيها علماء الحديث الأحاديث الخاصة بالأذكار والأدعية اليومية للمسلم[8].

▪ خاتمــة:

من خلال ما سبق في هذه الورقة البحثية نستخلص النتائج التالية:

---

[1]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 166/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 323 و546.

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 166/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 324 وكذا: 171. ومقالات في الدعوة إلى النهضة، 92.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ع: 169/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 374.

[4]– أخرجه: **مسلم**، الصحيح (مع النووي)، كتاب البر والصلة، 336/16. ق: 2546. من حديث أبي هريرة τ.

[5]– ينظر: مجلة "الشهاب"، ع: 177/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 531–532 و547–549.

[6]– أخرجه: **البخاري**، الصحيح (مع الفتح)، كتاب الأذان، 146/2 ق: 631. من حديث مالك بن الحويرث τ.

[7]– أخرجه: **مسلم**، الصحيح (مع النووي)، كتاب الحج، 49/9 ق: 1297. و**النسائي**، السنن، كتاب مناسك الحج، 270/5 ق: 3062 3062 من حديث جابر τ.

[8]– ينظر: مجلة "الشهاب"، ع: 166/ تخ: 1928/ مج: 4/ ص: 324.

– قدّم الشيخ "العربي التبسي" رحمه الله في مقالاته وخطاباته التي جاءت في مجلة "الشهاب" وجريدة "البصائر" وغيرهما: معالم النهضة الجزائرية الحديثة كما يراها، مستفادة من تجاربه الحياتية الواسعة، ومستمَدّة من معاني الأحاديث النبوية والآيات القرآنية.

– الأفكار النهضوية التي قدّمها الشيخ "العربي التبسي" لم تكن مجرّد تخمينات نظرية، بل كانت منطلقات عملية متكاملة، اشتغل عليها في حياته، وتركها نبراسا واضح المعالم بعد مماته.

– اعتبر الشيخ "التبسي" التعليم ومحاربة الأميّة عاملا رئيسيا وحيويا لقيام الأمة ونهضتها، من أجل ذلك كان كثيرا ما يؤكّد على ضرورة إنشاء المدارس الجزائرية التي تنشر العلم بين الأجيال الصاعدة في كلّ ربوع الوطن.

– كما أكّد الشيخ العربي التبسي في أسس النهضة المستفادة من الأحاديث النبوية على: ضرورة العمل الجماعي وتوحيد الجهود لخدمة الدين والوطن، ولم يُغفل أهمية مواكبة التطورات الحاصلة في العالم الأوربي والعربي؛ لذا دعا إلى ضرورة الانفتاح على العالم والاستفادة من تجارب الشعوب والعلوم العصرية.

– استفاد الشيخ رحمه الله كثيرا من المعاني النهضوية التي طرحها في مقالاته من الأحاديث النبوية؛ فكان كثيرا ما يقرّر الأفكار والمعاني الإصلاحية ثم يستشهد عليها بحديث أو أكثر من السنة النبوية.

– وأحيانا كان يجعل الحديث في مطلع خطابه ليكون مفتاحا لما سيورده من الأفكار والمعاني الإحيائية الحاثة على الجدّ والمثابرة في خدمة الأمة والوطن؛ لأنّ الإسلام دين العمل والاجتهاد.

– سياق الشيخ التبسي للأحاديث في مقالاته لم يكن على طريقة واحدة؛ بل كان مختلفا من حديث لآخر، فأحيانا يذكر لفظ الحديث تاما، وأحيانا يذكر شطرا منه، وأحيانا أخرى يكتفي بمعناه كما سبق.

– لم يركّز الشيخ التبسي في معاني الأحاديث على بيان دلالات الألفاظ والعبارات بقدر ما ركّز على مقاصد الأحاديث ومراميها، وما ترشد إليه من معان تربوية وهدائية.

– لم يعتن الشيخ بتخريج الأحاديث وعزوها غالبا، لكنه أحيانا كان يعزوها إلى أصحاب مصنفات الحديث المشهورة، ومع ذلك كان ما أورده من أحاديث كان في العموم من صحيح السنة النبوية.

▪ قائمة المصادر والمراجع:

1. بحر الفوائد، أبو بكر الكلاباذي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل – أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1: 1999.
2. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر–جيزة بمصر، ط1: 1418–1997.
3. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العراقي– ابن السبكي– الزبيدي، تحقيق: مَحمُود الحَدّاد، دار العاصمة– الرياض، ط1: 1987.
4. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الفرقان للتراث، ط1: 2017.
5. جامع الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر– محمد فؤاد عبد الباقي– وإبراهيم عطوة، مطبعة البابي الحلبي–مصر، ط2: 1975.
6. جريدة "البصائر": لسان حال جمعية العلماء المسلمين، في مجلدات.
7. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف– الرياض، ط1: 1995–2002.
8. سنن أبي داود: أبو داود السجستاني، تحقيق: الأرنؤوط–محمد كامل، دار الرسالة، ط1: 2009.
9. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن النسائي، المكتبة التجارية الكبرى–القاهرة، ط1: 1930.
10. السنن، ابن ماجه القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1: 2009.
11. سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق السقا–الأبياري –شلبي، دار المعرفة بيروت، طبعة مصورة عن مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1375–1955.
12. شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، مكتبة الرشد–الرياض، ط1: 2003.
13. صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط1: 1988.
14. صحيح ابن خزيمه، تحقيق: الأعظمي، المكتب الإسلامي–بيروت، دت.
15. صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دت.
16. صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق خليل شيحا، دار المعرفة–بيروت، 2007.
17. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار السلام–الرياض، دار الفيحاء– دمشق، ط3: 1421–2000.
18. مجلة "الشهاب": في مجلدات، طبعة دار الغرب الإسلامي– بيروت.
19. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1: 1990.
20. المسند، أحمد بن حنبل، شعيب الأرنؤوط–عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1: 2001.
21. المطالب العالية، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار العاصمة – دار الغيث، 1998.

22. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية- بيروت، ط2: 1980.
23. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، 1994.
24. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، دار ابن كثير- دمشق، 1996.
25. مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، شرفي الرفاعي، دار البعث-قسنطينة، ط1: 1981.
26. الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 1985.
27. النهاية في غريب الحديث، مجد الدين ابن الأثير، تحقيق الزاوي-الطناحي، المكتبة العلمية، 1979.